الباب الثانى

فيما اقتبسته الشعراء

من أدبيات حكماء اليونان وفلاسفة الفرس

قال أحد الشعراء عاقداً قول صولون الفيلسوف الشهير (ان خير الامور أوسطها)

فرط التناهى غلط خير الامور الوسط

وقال الآخر عاقداً قول أفلاطون (لم تدخر المال والموت راصد . قال ان يموت الانسان ويخلف مالا لأعدائه خير من أن يحتاج فى حياته الى أصدقائه)

مال يخلفه الفتى للشامتين من العدى

خير له من قصده إخوانه مسترفدا

وعقد أبو الفتح البستى قول أرسطو «القنية ينبوع الاحزان»

يقولون مالك لا تقتنى من المال ذخراً يفيد الغنى

فقلت واخمتهم فى الجواب لكي لا أخاف ولا أحزنا

وعقد أبو العتاهية قول بعض الحكماء عند موت الاسكندر المكدونى الكبير . «لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس »

كفى حزناً بدفنك ثم انى نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لى عظات فأنت اليوم اوعظ منك حيا

وعقد صفى الدين الحلى قول زينون الفيلسوف لشاب جاهل ومهذار « كف فقد خلق لنا أذنان وفم واحد لنسمع أكثر مما نتكلم»

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلا بنطقك قبلما تتفهم
لم تعط مع أذنيك نطقاً واحداً الا لتسمع ضعف ما تتكلم

وأخذ بعضهم قول أرسطو (الغنى فى الغربة وطن والمقل فى أهله غريب)

لعمرى ما الغريب بذي التنائى ولكن المقل هو الغريب
اذا ما المرء أعوز ضاق ذرعاً بحاجته وأبعده القريب

ونظمه الآخر بقوله

الفقر في أوطانه غربة والمال في الغربة أوطان

ونظم بعضهم قول الاسكندر المكدونى الكبير تلميذ أرسطو وقد سئل . ما بال تعظيمك لمؤدبك اكثر من تعظيمك لأبيك . فقال (لأن أبى سبب حياتي الفانية ومؤدبى سبب حياتى الباقية)

أقدم أستاذى على نفس والدى
وان نالنى من والدى الفضل والشرف

فذاك مربى النفس والنفس جوهر
وهذا مربى الجسم والجسم من صدف

واقتبس بعضهم قول اسطرخس الصامت لما سئل عن علة لزومه الصمت فأجاب انى لن أندم عليه قط وكم ندمت على الكلام .

وأيضاً قال لقمان الحكيم لولده : يابنى اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك

الصمت زين والسكوت سلامة
فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوتى مرة
ولقد ندمت على الكلام مرارا

فألم به أبو نواس بقوله

خل جنبيك لرام وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
إنما السالم من ألجم فاه بلجام

وقال أفلاطون في زينوكرانس وسقراط تلميذيه (ان سقراط يحتاج الى لجام لتوقد ذهنه وزينوكرانس يحتاج الى منخاس لخموله) فعقده ابن الرومي بقوله

عندى له الصوت ان تلأم في السير وعندى اللجام ان ركضا

وقال المتنبي عاقداً قوله على حكمة ارسطو (اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك النفس دون بلوغها)

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

وقوله أيضاً ملماً في حكمته « الالفاظ المنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو احساسهم عن ادراكها »

بذى الغباوة من انشادها ضرر
كما تضر رياح الورد بالجعل

وقوله مقتبسا حكمته « الزمان ينشى ويتلاشى ففناء كل قوم سبب لوجود قوم آخرين »

بذا قضت الايام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

وقوله متناقلا كلامه « من لم يردك لنفسه فهو النائى عنك وان تباعدت أنت عنه »

اذا ترحلت عن قوم وما قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وقوله فى نصيحة « من لم يقدر على عمل الفضائل فلتكن فضائله ترك الرذائل »

ولم أر في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على الكمال

وعقد الحاتمى قوله على قول جالينوس (نأكل لنحيا ولسنا نحيا لنأكل)

شرابه الثلج لا للرى يطلبه وطعمه لقوام الجسم لا السمن

وعقد المتنبي قوله : (الظلم من طبع النفوس وانما يصدها عن ذلك إحدى علتين : اما علة دينية كخوف معاد . واما سياسية كخوف سيف) وقيل انه تناوله من أقوال الفلاسفة الرواقيين بقولهم (الناس يخلقون أخياراً بالطبع ثم ينصرفون الى الشر بمصاحبة أهل الشر)

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذاعفة فلعلة لا يظلم

وقال آخر عاقداً قول فيلسوف يوناني

ما استكمل المرء من لذاته طرفا إلا وأعقبه النقصان من طرف

وبمعناه قول ابن المعتز العباسي

ترامت بنا حادثات الزمان ترامي قوس بنشابها
وما ينتقص من سباب الرجال يزد في نهاها والبابها

ومن ذلك قول الآخر

لحكيمنا بقراط خير قضية ووصية تنفي الهموم الركدا
قال الهموم تكون من طبع الورى في لبث ما في طبعه أن ينفدا
فاذا اقتنيت من الزجاجة قابلا للكسر فانكسرت فلا تك مكمدا

وقال أبو العتاهية عاقداً قول أحد الفلاسفة عند موت الاسكندر المكدوني (حركنا بسكونه)

ياعلي بن ثابت بان صاحب جل فقده يوم بنتا
قد لعمري حكيت لي غصص الموت وحركتني لها وسكنتا

وعقد بعضهم قول أنوشروان (إن أحببت أن لاتغتم فلا تقتن ما به تهتم)

ألم تر أن الدهر من سوء فعله ينكد ما أعطى ويسلب ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوؤه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

وتناول الآخر قول بزرجمهر (اذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فانها لاتبقى)

لاتبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وقال كسرى عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم أهل حسن الظن بالله ولو ان أهل البخل لم يدخل عليهم من ضر بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم إلا سوء ظنهم بربهم فى الخلف لكان عظيما) فعقده محمود الوراق

من ظن بالله خيراً كان مبتدئاً والبخل من سوء ظن المرء بالله

وقال شابور ازدشير : (العقل نوعان أحدهما مطبوع والآخر مسموع ولا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه) فتناول الشاعر هذا المعنى بقوله :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لاتنفع الشمس وضوء العين ممنوع

واقتبس ابن المعتز قول كسرى أنو شروان فى النرجس (هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر) بقوله

وياقوتة صفراء فى رأس درة مركبة فى قائم من زبرجد
كمثل بهي الدر عقد نظامها نثير فرند قد أطاف بعسجد
كأن بقايا الظل في جنباتها بقية دمع فوق خد مورد

وعقد عبدالله بن طاهر قول ازدشير بابك فى الورد (هو در أبيض وياقوت أحمر على كراسى زبرجد أخضر توسطته شذور من ذهب أصفر . له رقة الخمر ونفحات العطر) بقوله

كأنهن يواقيت يطيف بها زمرد وسطه شذر من الذهب
فاشرب على منظر مستظرف حسن من حمرة مزة كالجمر فى اللهب

وعقد أبو المظفر البلخى قول الحكيم الفارسى (بزرجمهر مروك)

لا ترضين من الصديق بكيف أنت ومرحبا بك
حتى تجرب ما لديه لحاجة اما بدت لك
فاذا وجدت فعاله كمقاله فيه تمسك

وعقد بعضهم قول بيدبا الفيلسوف في كليلة ودمنة :

وكل الى طبعه عائد وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد تسخينه يعود سريعا الى برده

واقتبس أبو تمام الطائى قوله من الكتاب المذكور : ان الحازم يكره القتال ما وجد بداً منه لأن النفقة فيه من النفس . والنفقة في غيره من المال

كم بين قوم إنما نفقاتهم مال وقوم ينفقون نفوسا

وأدمج ابن الرومي كلام بعض حكماء الهند وهو (أن الرجل ذا المرؤة والفضل ليكون خامل المنزلة غامض الامر فما تبرح به مرؤته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التى يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا :

ثم حاولت بالمثيقل تصغيرى فما زدتنى سوى التعظيم
كالذى طأطاء الشهاب ليخفى وهو أدنى له الى التضريم

obeikandl.com